

ما الذي يحدث حين يتحول الأكاديمي والمتقف إلى سماسرة ؟

قبل سنوات كتب رائع الذكر نجيب المانع – رحمه الله- مقالة كأنها في بعض جوانبها تلخص مقدمة محمود شاكر في كتابه عن المتنبي، ثم أتبعها بمجموعة من الأسئلة التي نُذكرنا بأسئلة العبقرى الجاحظ التي عُدَّ بها المسكين أحمد بن عبد الوهاب في رسالة التربيعة والتدوير، وقد فعل الصنيع نفسه طه حسين وهو يستقبل العضو الجديد في مجمع اللغة العربية توفيق الحكيم بعدما تغير الود الذي كان بينهما حين تمرد الحكيم على تلمذة طه حسين التي ظل يتطلع بها بوصف الحكم أحد اكتشافاته؛ ذلك أن طه حسين لا يختلف كثيراً عن بعض المستبدين، وإن ظهر بصور المستبد النبيل، فقد كان يستخف بكل من يخالفه، أو يخرج عن تلمذته، وصفحته حافلة، وقد منيتُ أنا شخصياً بمثل هذا اللون من الاستبداد في بعض مراحل الدراسة من أساتذة ليس لهم حظ من أخلاق العلم، فتجدهم يضيّقون بمن يختلف معهم، وإن نالوا بعض رطانة الآخر وسفسطته، منهم من قضى نحبه، ومنهم من يتجرع أيام زوال استبداده ولا يكاد يسيغها، وربما وصفئهم بسيماهم في فصلٍ من كتاب قد عقدت العزم على إخراجها عن أطياف الذكريات الآفلة، إلا أن أسئلة نجيب الرائع كانت موجةً إلى المتقفين العرب أو مدعي الثقافة، وقد بلغت خمسين سؤالاً في الثقافة العالمية، رصد لمن يجيب عنها جائزة قدرها ثلاثمائة جنيه استرليني اقتطعها من ميزانيته الخاصة التي كانت تصل في بعض أيامه حدّ العوز .

رحل نجيب المانع مثلاً يرحل الكبار، وبقيت أسئلته تُعدَّب المتقفين العرب، ولم يتقدم أحد منهم للإجابة عنها فضلاً عن الإجابة عن سؤال واحد منها- بحسب علمي – على الرغم من أنها ليست أسئلة تعجيزية؛ لأن مجال البحث عن إجاباتها كان حراً، ولم تكن مقيدة أيضاً بمدة قصيرة، ولكن نجيب لم ينتظر طويلاً؛ لأنه أدرك بوعيه المتقدم أن الإجابة لن تأتي لأسباب كثيرة، لعل أبرزها أن المتقف العربي والأكاديمي قد تحولوا بالفعل إلى سماسرة بكل ما تعنيه المفردة من دلالات، ولكن هذه السمسرة تحتاج بعض التأمل، وربما تملك أيضاً قابلية التكذيب والتأويل بوصفها حقيقة عند من يدافعون عنها.

أعود إلى سؤالي الوحيد الذي بدأت به هذه الأسطر، ما الذي يحدث حين يتحول الأكاديمي والمتقف إلى سماسرة؟ ؛ ولأنني أفضل حالاً من الناحية المادية - بطبيعة الحال- من نجيب الرائع ، ولفارق صرف العملة الذي يتغير دوماً مثلاً تتغير القيم والذمم، فقد رصدت جائزة مقدارها أربعمئة جنيه استرليني، لأفضل إجابة عن سؤالي، على أن تأتي الإجابة على هيئة مقالة شافية

كافية توضح لنا نتائج هذا التحول المؤلم الذي آل إليه الحال حين تسمسر الأكاديمي ، وسَمِج
المتقف العربي، وليسامحني نجيب المانع فقد ثَوَّبَت أجر هذه الجائزة إلى روحه الشامخة، وقد
أكلتها الحروف، فلم يكن سمسارا، ولم يقبل الهبات فضلات عن التمسح بالعتبات .!